عبر صلى الله عليه وسلم فقال ادبني ربي فاحسن تاديبي فكان
صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول
فطرته لم يحصل بالاكتساب ولا برياضة بل بالجود الالهي والاختصاص
الرباني ففردت هذه الاخلاق في جبلته واودع العلم والحكمة في
فطرته كما اخبر وقال لما نشأت بغضت الي الاوثان والشعر
ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله واما اصل فروع هذه
الاخلاق وعنصرها بيعها ونقطة دايرتها فالعقل الذي منه
ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عنه تقريب الراي وجودة الفطنة
والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضايل
وتجنب الرذايل فهذه عشرة من الامهات لجميع الكمالات
فقد كان صلى الله عليه وسلم لا مرية فيه بانه اعقل الناس واذكاهم
ومن تامل تدبير امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة
وطالع جوامع كلمه وحكم حديثه وعلمه بما في الكتب المنزلة قبله وحكم
الحكماء وسير الامم الخالية وضرب الامثال وتقرير الشرايع الى فنون
عليه الذي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة
بفتح العين والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك قال
نطول الاقاصيص وآحاد القضايا بالا مجموعها مالا يأخذه حصر ولا
يحيط به حفظ مع عجيب شمايله وبديع سيرته فيما افاض من العلم
وقرر في الشرع دون سبق تعلم ومدارسة ولا ممارسة ولا مطالعة
لكتب الدراسة كما شهد بذلك الكتاب بقوله عز من قايل وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية وقوله قل لو شاء الله
ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله لم يمن وبحسان
عقله وتقرب فهمه باول بديهة وهذا الاحتاج الى تقرير لتحققه
فمتى اردت ان يحصل لك العلم الضروري بكونه عليه السلام على

اعلى درجات العقل والنبوة فعليك بمطالعة تفاصيل ما ذكرته لك مجملا
وتجربة ما قاله في العباد ان منصفا مجردا فانظر الى قوله صلى الله عليه
وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقوله صلى الله عليه وسلم
من اعان ظالما سلط عليه وقوله من اصبح وهمه واحدا كفاه الله هموم
الدنيا والآخرة فاذا اجريت ذلك في الكف والفن والآفي حصل لك
علم ضروري لا يتمارى فيه فمن هذا الطريق اطلب ليقين بالنبوة
والولاية لا من قبل لعصا تنقلبا وشق القمر فانك اذا قصرت
نظرك في ذلك يعني في المعجزات والكرامات ولم ينضم اليه من امثال
هذه القرآين ربما ظننت انه سحر وتخييل وذلك من الله استدراج
ومكر واضلال يزل به ويضل به اهل الضلال فانه يضل من
يشاء ويهدي من يشاء ومع ذلك فقد قال وهب بن منبه
قرأت في حد وسبعين كتابا من الكتب السالفة فوجدت في جميعها
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا واكملهم رأيا وافضلهم
دينا واصوبهم قولا وان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
الى انقضايها من العقل والعلم في جنب عقله وعلمه الا كحبة رملة
من بين رمال الدنيا قلت ولا يخفى ذلك عند من تتبع مجاري احواله
ووضع سنته وذلك قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل فجمعت
علم الاولين والآخرين حارت العقول في تقدير فضله وحرست
الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فجال هذا الباب
في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء وبحر
علمه خصائصه زاخر لا تنقصه الدلاء فاقتصرت في ذلك لاجمالك
على قدر همتك بقل من كثر وغيض من فيض واجمال من تفصيل
فليبلغ علمه وعقله هذا المبلغ ونفاد بصيرته هذا النفاذ حتى امته
على متابعة سنته كما سأورد عليك اقواله المتعلقة فيها والاطلاع

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)